النصوص التطبيقية وأثرها في اكتساب النحو لدى المختصين دراسة وصفية تحليلية

د. ازدهار عبدالرحمن السيد ابراهيم

المقدمة:

من المعروف أنّ النصوص هي المادة الأساسية التي تتشكل منها دراسة اللغة - أي لغة- في مستوياتها المختلفة أصواتاً وبنيةً ونحواً، وقد كانت نصوص العربية الفصحى هي مادة الدراسة بين أيدي علمائنا الأقدمين حتى القرن الرابع الهجري، حيث قابلوها بسلوك علميّ جاد، وجهد نشيط دائب، كانت ثمرته هذه الدراسات الخصبة العميقة في مكتبة النحووالصرف.

والهدف من تناول هذه النصوص بالدراسة هوتربية النفس على حفظ النصوص لدى المختصين؛ حتى تتكون الملكة القادرة على محاكاتها، والنسج على منوالها،وقد نادى بمثل هذا العلاّمة ابن خلدون فقال: " ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكةَ ويروم تحصيلها، أنْ يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم، والجاري على أساليبهم من القرآن الكريم، والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم، حتى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور. منزلة من عاش بينهم ولُقّن العبارةَ منهم "(١).

هذه العبارة الأخيرة هي التي جعلتني أركز على النصوص منظومها ومنثورها، واتخذت لذلك ثلاثة أنواع من النصوص وعليها تشكلت مباحث البحث.

وتقوم فلسفة البحث على هذه الركائز الثلاث إيماناً من الباحثة أنّ التخطيط السليم لتعلّم اللغة العربية،يُحتّم علينا وضع خطة تُسهم في اكتساب اللغة لدى المختصين،ولا سيما النحو؛ لأنه عمود اللغة العربية؛ إذ به يُقوّم اللسان،ويرتقي سلّم الفصاحة والبلاغة. فشملت الخطة محاور ثلاثة تُكمّل بعضها البعض،ويعود مردودها إلى المباحث التي سبق ذكرها:

أولاً:وضع الحدّ المختصر الشامل الدقيق للموضوع المعين؛إذ لا يمكن للمختص أن يتحدث حديثاً عاماً عن أيّ موضوع علمي،دون تعريفه بحدٍ جامعٍ مانعٍ مُوثّقٍ له من كتب الأقدمين ككتاب (الجمل في النحوللزجاجي)؛لأنه أوّل كتاب في المختصرات، وله مزايا أخرى سنبينها في ثنايا البحث إن شاء الله.

ثانياً:تثبيت القاعدة والتمثيل لها بكلام منظوم رائق يسهُل حفظه،وتناوله.واخترت من المنظومات (ألفية ابن مالك)؛لشهرتها، وإقبال الناس عليها، وما أحدثته من نقلة نوعية في تعلّم النّحوواكتسابه.

ثالثاً:إغناء الملكة؛وهذا يتأتّى بحفظ النصوص ذات المستوى الرفيع..وهي كثيرة لا يتّسع لها المجال في هذا البحث؛فاخترت منها نماذج شعرية، خصصت بها بعض الشواعراللائي استشهدالعلماء بشعرهن.

واتبعت منهجاً وصفياً تحليلياً.وجاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
المختصرات النحوية " الجمل في النحوللزجاجي"

لا شك أنّ النحوذروة سنام العربية وسيّد فروعها؛ لأنّ الكلامَ به يكمُل والخطابَ به يجمُل، فكتاب سيبويه أعظم كتاب في النحووصل إلينا، لكنه لا يُفهم إلا بعد تأمّل كثير فيه، وولعلّ الأخفش أشاع في كتاب سيبويه بعض ما كان يشيعه في كتبه من الغموض، حتى لنرى الجاحظ يتعرّض له سائلا:"ما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم" (٢) فبدا النحوصعباً مطوّلاً عويصاً، فسنة الحياة أنّ الأمر إذا ما بدا صعباً، اشتدت حاجة الناس إلى وضع سبل تيسر ما استغلق على

أفهامهم،وتمكّنهم أن ينهلوا من معينه الصافي.

وتتجدد السبل والوسائل لتيسير النحووتبسيطه، فوضع العلماء المختصرات والمتون، وأكب عليها أعلام النحاة بالشرح والتحليل؛ فلذلك ارتأت الباحثة تسليط الضوء على المختصرات النحوية؛لتعكس فائدتها. فالعلماء منذ القرن الثاني الهجري دأبوا يضعون في النحومختصرات ومتوناً يستخلصون فيها من مطولاته قواعده الأساسية ويصفونها ويمخضون زبدتها. فالغرض من هذه المتون والمختصرات تعليمي؛ حتى يتبين الناس معالم هذه اللغة.ولعل الزجاجي هوالعالم الذي جندنفسه لهذا العمل، إذ انتحى نحوالاختصار والإيجاز في كثير من مؤلفاته،فها هويقول في شرحه لمقدمة أدب الكاتب:"وجعلت جميع ذلك موجزاً غاية الإيجاز ليقل حشوه وتكثر فائدته"(٣)

التعريف بالزجاجي وكتابه:-

هوأبوالقاسم عبدالرحمن ابن إسحاق الزجاجي،كان إماماً في النحو، وشيخ العربية في عصره،ولد بالصيمرة ثم انتقل إلى بغداد بعد حياة اكتمل فيها نضجه العقلي،والتقى شيخه الزجاج،كما أخذ فيها عن مشايخة آخرين.ثم غادر بغداد إلى الشام فأقام بحلب مدة،ثم انتقل الى دمشق وأقام بها وحدّث وصنّف وأملى ودرّس بجامع دمشق وانتفع به الناس. وقيل إنه جاور بمكة وألف فيها كتابه الجمل وتوفي بطبرية عام ٣٣٨هـ.(٤)

ومختصر الإمام أبي القاسم الزجاجي المسمى "الجمل في النحو" يُعدّ من أهم المصنفات النحوية وأعظمها فائدة وأقربها تناولا؛لذلك لم يجد كتاب من كتب النحوبعد كتاب سيبويه ما وجده كتاب (الجمل) من الاهتمام، بل لعله أوفر الكتب حظاً من الشروح والتعليقات على مدى تاريخ النحوالعربي حتى قيل:إن المغاربة وحدهم وضعوا عليه مائة وعشرين شرحاً. ولعل السبب في تدافع العلماء عليه وتعلقهم به يرجع إلى عدة أمور منها: أن كتاب الجمل كان كتاباً تعليمياً في نهجه وأسلوبه،؛ولعله أشهر مصنفاته لذلك نال شهرة مدوية وذاع صيته، كما يبدوأنه كانت لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة في عصرهم حتى انشغل الناس به وجعلوا حفظه همهم ،وقال أحد شراح الجمل:"أكثر الناس من استعمال الجمل ودراسته وألزموا أنفسهم حفظه ودرايته...، وأنه تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار"(٥) ليت طلابنا يلزمون أنفسهم حفظه ودرايته فالزجاجي؛ أسلوبه سهل وواضح يمكن أن يفتح أنظارهم على النحو. فقد قال عنه ابن السيد البطليوسي":وإنه- أي الزجاجي - من أئمة هذه الصناعة فإنا بكتابه افتتحنا النظر في هذا العلم وهوالذي رشّح بصائرنا لما منحناه من الفهم"(٦). فإذا كانت هذه شهادة عالم بصير بأمور اللغة وتصانيفها،فمن الأجدر أن نأخذ كلامه بعين الاعتبار في ظل الضعف الذي أصابنا في اكتساب هذه اللغة العظيمة؛ لعله يرشح بصائرنا للفهم.

فالكتاب شامل مفيد كما ترى وبذلك تتضح محاسن الجمل وفوائده؛مما جعل العلماء يشيدون به.فها هوكمال بشر يقول:"قد يقال إن كتاب الجمل كتاب نحوفقط ولكن هذا القول غير دقيق؛ إذ الكتاب ينتظم دراسة صرفية نحوية متكاملة من وجهة نظر صاحبه"(٧). لقد تناول الزجاجي في كتابه أنواع العلوم العربية من نحووصرف ولغة وخط، بلغة عربية فصيحة واضحة.

دراسة بعض المباحث من كتاب الجمل:

عندما وقع اختياري على كتاب الجمل – من ضمن المختصرات التي ألفها علماؤنا الأجلاء – كنت أهدف إلى بيان بعض الأساسيات التي يجب أن يقتفي أثرها مختصوالنحوعند دراستهم للغة العربية، حيث يجب أن نختار الكتب بعناية لتكون ذات نفع للمختص ومخرجاتها جيدة؛لتكسبهم العلم؛لأن اكتساب اللغة وامتلاك ناصيتها يكون فاعلاً لدى الطلاب يمكنهم من أن يكونوا منتجين للمعرفة، ولهم من القدرات والمواهب ما يؤهلهم لأن يكونوا مبدعين في مجالات اللغة المختلفة. وهذه الأساسيات تتمثل في نقاط منها:

أولا:معرفة الحد الشامل للموضوع المعين.

ثانيا: تقريب المعنى إلى ذهن السامع وذلك بالتمثيل وحصر المواضع المتعددة.

ثالثا:تعدد الأوجه في المسالة الواحدة والتعليل لها.

رابعا:التدريب على الإعراب والعلل.

خامسا:الجمع بين الآراء لإضفاء صفة الموسوعية للطلاب لنعلمهم السماحة في الأخذ من المذاهب المختلفة.

سادسا:التفرد والابتكار ليكونوا مبدعين لا متبعين فقط..

أولا: الحد الشامل للموضوع المعين:

بعد قراءة النص الذي يشتمل على

التعريف أوالحد لأي موضوع، يجب أن نتدارس هذا النص مع طلابنا حتى يفهموه جيداًويعرفوا محترزاته؛ لأنّ معرفة المحترزات في الحدود من شأنها رفع الحس النقدي عند طلابنا والإلمام بجوانب الحديث، وفهم المعاني الدقيقة. وعند ذكر الحد يجب أن نطرح على طلابنا أسئلة لنرى ماذا فهموا من هذ الحد المقتضب؛لتجود قرائحهم بما فهموا وليفتقوا المعاني ويوسعوا ما كان مختصراً، ممتلكين أداة تمكنهم من ذلك؛فتوسعة المختصر أعسر من اختصار المتسع. تلك هي فلسفة الباحثة في اختيار أنموذج من هذه المختصرات وإليك بعض النماذج.

قال أبوالقاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي:"أقسام الكلام ثلاثة،اسم وفعل وحرف جاء لمعنى.فالاسم ماجاز أن يكون فاعلاً أومفعولاً أودخل عليه حرف من حروف الخفض نحو:رجل،وثوب ،وفرس،وزيد ،وعمرو"(٨).

بعد قراءة النص وفهمه وحفظه نبدأ في دراسة المحترزات مثلا:"حرف جاء لمعنى"كيف يفهمها الطلاب فالحرف يطلق في هذه الصنعة بثلاث إطلاقات:

أحدها:أن يراد بالحرف الكلمة، ومعلوم أن أبا القاسم لم يرد بالحرف ههنا الكلمة؛لأنه أتى به في مقابلة الاسم والفعل.والكلمة تنطق ويراد بها الاسم والفعل والحرف لأنها الجنس،والاسم والفعل والحرف أنواع لها.

الثاني: أن يراد بالحرف حرف الهجاء، ويعلم أيضا أن أبا القاسم لم يرد بالحرف هنا هذا؛لأنه قال"جاء لمعنى" ولأنه جاء في مقابلة الاسم والفعل، وحرف الهجاء مبدأ الكلم الثلاث؛ولأجل هذا قال أبوعلي الفارسي في كتاب الإيضاح:"اسم وفعل وحرف" ولم يقل جاء لمعنى؛لأن مجيئه في مقابلة الاسم والفعل يدل على أنه لايراد بالحرف هنا إلا حرف المعنى وهذا هوالمعنى الثالث(٩).

إليك موضع آخر هو قوله:"فالاسم ما جاز أن يكون فاعلاً أو مفعولًا أودخل عليه حرف من حروف الخفض" قد يعترض البعض على أن هذا الحد ليس بجامع ولا مانع؛لأننا نجد أسماء كثيرة لا تكون فاعلة،ولا مفعولة،لا يدخل عليها حرف من حروف الخفض، منها: كل مصدر لا يتصرف نحو(سبحان الله)، ومنها كل ظرف لا يتصرف نحو(سحر) إذا أردته ليوم بعينه، و(عشية)وغير ما ذكرته من الظروف التي تلزم النصب على الظرفية... ومنها كل اسم لا يستعمل إلا في النداء ولا يستعمل في غيره، ومنها(مذ ومنذ) على من رفع بهما.

وأما كونه غير مانع: فإن العرب تقول:جئتك يوم خرج زيد، وكذلك تقول:جئنا حين جاء زيد، وبلا شك أن ظروف الزمان كلم يجوز أن يخفض بها، وهي يصح دخولها على الأفعال، قال تعالى(هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) المائدة:١١٩، وقال تعالى(يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) الانفطار:١٩،وقال النابغة:

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا

وقلتُ ألما أصحُ والشيبُ وازعُ(١٠)

كلّ هذه ربما تكون معترضات على هذا الحدّ، وطرح مثل هذه الأسئلة والانتقادات تجعل طلابنا يشحذون هممهم لاستشعار الأجوبة وبذلك ندرّبهم على الردّ على مثل هذا الاعتراضات، والردّ عليها كالآتي:

أولا: إنه قال "أومفعولاً" والمفعول يكون على خمسة أوجه:

مفعولاً مطلقاً،ومفعولاً فيه،ومفعولاًبه ومفعولاً لأجله،ومفعولاً معه.

فالمفعول المطلق المصدر انتصب بفعله،والمفعول فيه الظروف وما جرى مجراها،والمفعول به المحل الذي أوقع الفاعل به فعله(فسبحان الله) مفعول مطلق لأنه مصدر انتصب بفعله، إلا أنّ فعله ناب هومنابه، و(سحر) إذا أردته ليوم بعينه وما جرى مجراه انتصب على المفول فيه؛لأنه من قبيل الظروف،والمنادى مفعول به، ألا ترى أن قولك: (يا عبد الله)، انتصب بإضمار فعل تقديره:أنادي وأريد، وما أشبه ذلك على حسب ما تبين في باب النداء. وأما(مذ ومنذ)فمذهبه فيهما أنهما ظرفان وما بعدهما المبتدأ، والتقدير عنده:بيني وبين لقائه يومان على حسب ما يبين في باب مذ ومنذ.وعلى مذهب أبي علي الفارسي،فهما مبتدأ وما بعدهما خبر.(١١)

وأما الاعتراض الثاني:وهوأنه غير مانع،لأنّ ظروف الزمان كَلِمٌ يجوز أن يخفض بها.فالإجابة – كما ذكرها ابن أبي الربيع – أنّ الإضافة إنما هي للمصدر، فكان القياس أن يكون بما أوبأنْ؛ لأنّ الفعل لا يكون في تأويل المصدر إلا بحرف يقترن به،وذلك نحوقوله تعالى(وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ)آل عمران:١١٨،وتقول: أعجبني أن قام زيد، والتقدير أعجبني قيام زيد، لكنّ العرب اتّسعت في ظرف الزمان بإضافته لفعل غير مقرون بحرف.(١٢)

ضف إلى هذا أنني أحسب أنّ

الإضافة في مثل قوله تعالى (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) المائدة: ١١٩، أنها تكون للجملة وليس للفعل. وقد أشار ابن مالك إل أن (حين) وما شاكلها من ظروف الزمان تضاف لها الجمل. فلوأنك تتبعت كل هذه الردود التي جاءت إثر هذه الاعتراضات تنبيك عن تكوين ملكة تعي جيداً أسرار اللغة ودقائقها وهذا ما ننشده في طلابنا المختصين.

ثانيا: تقريب المعنى إلى ذهن السامع إما بالتمثيل أوبحصر المواضع المتعددة:

واضعاً في الاعتبار مسوغات معنوية تُدْخِلُ فيها كلّ ما لم يُذكر.

فقد اهتم الزجاجي بالتمثيل اهتمام ابالغاً، فهويحاول دائما أنْ يقرّب ما يقوله إلى ذهن الدارس إذا ما شعر أنّ قوله يحتاج إلى توضيح،وهذا هوالمذهب الذي نسعى لاكتسابه عند تدريس طلابنا ويبدوذلك جلياً في كيفية التمييز بين الفاعل والمفعول به فيقول:"وتقريب هذا الباب أنك تردّ القول إلى نفسك،فإن ظهر اسمك فيه بالنون والياء فغيرك فيه مرفوع؛لأنهما ضمير المفعول به كقولك(أعجبني وأسخطني وأرضاني)وإن ظهر فيه بالتاء، فغيرك فيه منصوب؛لأنها ضمير الفاعل كقولك (كرهت واشتهيت) وما أشبه ذلك"(١٣) ومن أسلوبه، حصر المواضع المتعددة مع إمكانية مساحة تُدخل ما لم يُذكر. قال الزجاجي في باب الفرق بين (إنّ)و(أنّ):"اعلم أنّ (إنّ) تُكسر في أربعة مواضع،وهي في سائر ذلك مفتوحة وفصّل المواضع الأربعة وهي: أن تكون مستأنفة،وأن تكون في خبرها اللام، وأن تكون جواباً لقسم، وأن تكون بعد القول".

وبعد دراسة هذا الحد مع طلابنا يجب أن نجعلهم يعللون للأشياء التي لم يذكرها الزجاجي وهي تدخل في هذا الحد؛ لنرى مهارتهم في التعليل والربط وذلك نحو:(ألا) التي يراد بها الاستفتاح كقوله تعالى(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)البقرة:١٣،وقال طرفه:

ألا إنني شربت أسود حالكاً

ألا بجلي من الشراب ألا بجل(١٤)

وتكسر بعد(حتى) تقول:قد قاله القوم حتى إن زيداً يقوله،وتكسر أيضا بعد(إذا)، تقول:مررت به فإذا إنه يقول كذا. وأحسب أنّ الزجاجي لم يذكر (ألا)؛لأنها واقعة في الابتداء الحكمي،فالابتداء قد يكون حقيقياً بأن تقع إنّ في أول الكلام لم يسبقها شئ كقوله تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) القدر:١،وقد يكون ابتداءً حكمياً وذلك إذا وقعت (إن) في أول الجملة وسبقها حرف لا يغير الابتداء مثل ألا الاستفتاحية.(١٥)

وأحسب أن(إذا) الفجائية بعدها الجملة مستأنفة فتدخل في حكم البداية وكذلك(حتى) لك أن تجعلها استئنافية، وهكذا يمكنك أن تطوع هذه الأدوات وتجعلها داخلة في الحدّ الذي ذكره الزجاجي.

ثالثا: تعدد الأوجه في المسالة الواحدة والتعليل لها:

فهو يضع بين يدي الدارس -حتى يسهل عليه الأمر- عدة حلول للمسألة الواحدة ويخيره باتباع أي حل يشاء،يقول في تكرار النعوت:"وإذا تكررت النعوت فإن شئت أتبعتها الأول،وإن شئت قطعتها منه ونصبتها بإضمار فعل،أورفعتها بإضمار المبتدأ كقولك: مررت بإخوتك الظرفاء،الكرام العقلاء،بالخفض على النعت وإن شئت نصبته بإضمار (أعني) وإن شئت رفعته بإضمار(هم العقلاء الكرام)،إن شئت أتبعت بعضاً،وإن شئت عطفت بعض النعوت على بعض"(١٦)

رابعا: التدريب على الإعراب والعلل:

وحتى يزيد ما يقوله وضوحاً كان يلجأ إلى إعراب الجمل،فيقف الزجاجي في كتابه كمدرس من المدرسين المحدثين،وقف يشرح درساً من دروس النحو، بعد أن كتب أمثلته على السبورة! يقول في باب (التعجب):"إذا تعجبت من شئ وجعلت في أول كلامك (ما)مع الفعل، فانصب المتعجب منه لوقوع ذلك الفعل عليه، وذلك قولك:ما أحسن زيداً(ما)اسم مبتدأ في موضع رفع، ولكنه مبهم فلذلك؛ لم يعرب،وهواسم تام بغير صلة، وما بعده خبر، و(أحسن)فعل ماض وفاعله مضمر فيه وهوذكر يعود على (ما)و(زيد)نصب بوقوع الفعل عليه وتمثيله:شئ حسّن زيداً،إلا أنّ لفظ التعجب لزم مع(ما) فتقول في التثنية:ماأحسن الزيدين،وفي الجمع ما أحسن الزيدين، ومثل:ما أظرف أخاك،وأكرم أباك،وأنظف ثوبك، وأطيب راحتك، كل ذلك منصوب"(١٧).

خامسا: الجمع بين الآراء لإضفاء صفة الموسوعية للطلاب لنعلمهم السماحة في الأخذ من المذاهب المختلفة:

فالزجاجي يجمع لك أكثر من

رأي؛ لتكتسب صفة الموسوعية في العرض،فيعرض لك رأي البصريين مع رأي الكوفيين،وقد يشفعهما برأي آخر لعالم مشهود له. فقد اتبع البصريين في قولهم:"إن النكرة لا تنعت إلا بالنكرة وأن المعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة، فالنعت يجب أن لا يكون أعرف من متبوعه بل دونه أومساوياً له نحو:(رأيت زيداً الفاضل)أما الكوفيون،فقد جوزوا التخالف في المدح والذم ومثلوا له بقوله تعالى:(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ) الهمزة:٢/١،فجعلوا "الذي"صفة"الهمزة"،وجوز الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة،وصف النكرة بالمعرفة إذا خصصت قبل ذلك بالوصف"(١٨)

وكذلك وافق البصريين بقوله:"إن الأسماء كلها يعطف عليها إلا المضمر المخفوض، فإنه لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض. فلوقلت:مررت به وزيد،أودخلت إليك وعمرو، لم يجز، حتى تقول: مررت بك وبزيد أو:دخلت إليك وإلى عمرو. وقد استشهدوا بقوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)النساء:١،وهم متفقون في ذلك مع يونس والأخفش الأوسط(١٩).

سادسا: التفرد والابتكار ليكونوا مبدعين لا متبعين فقط:

يحتوي الكتاب على آراء تفرد بها الزجاجي وعلّل للوجوه الجديدة التي جاء بها ومنها قوله:"كل منادى في كلام العرب منصوب إلا المفرد العلم،فإنه مبني على الضم في موضع نصب، بينما ذهب الجمهور إلى أن المبني على الضم من المنادى هوالعلم المفرد والنكرة المقصودة وهما مبنيان على ما يرفعان به. ولم يذكر الزجاجي النكرة المقصودة؛ لأنها عنده في عداد المعرف بأل" قال:"واعلم أنك إذا أقبلت على رجل بعينه فقلت:يا رجل أقبل،فرفعته،والتقدير:يأيها الرجل أقبل،لأنك تريده بعينه"(٢٠)

ومما انفرد به قوله:"إنّ (قارب)من أفعال المقاربة التي تأخذ اسماً وخبراً،أما الجمهور فلا يرون أنها من هذا الباب؛لأنها ليست داخلة على المبتدأوالخبر،بدليل مجئ مفعولها اسماً في فصيح الكلام تقول:قارب زيد القيام".

وقوله:"إن(إلا أن يكون)من أدوات الاستثناء ويجوز أن ينصب ما بعدها ويرفع"،قال في باب الاستثناء:"وأما (إلا أن يكون)فإن شئت رفعت بها،وإن شئت نصبت كقولك:قام القوم إلا أن يكون زيد،وما خرج إلا أن يكون بكر وإن شئت نصبت والرفع أجود قال الله تعالى(إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً)البقرة:٢٨٢،قرئ بالرفع والنصب"(٢١).

وقد ضم الزجاجي إلى النحوأبواباً جديدة منها(باب المفعول المحمول على المعنى)فأجاز في هذا الباب أن يصير المفعول فاعلاً والفاعل مفعولاً ضرورة.

قال:"إعلم أن العرب مجمعون على رفع الفاعل ونصب المفعول به،إذا ذكر الفاعل وقد جاء في الشعر شئ قلب،فغير مفعوله فاعلاً وفاعله مفعولاً على التأويل ضرورة"(٢٢) فمنه قول الأخطل:-

مثلُ القنافذ هدّاجونَ قد بَلَغَتْ
نَجْرَانَ أَوبَلَغَتْ سَوْءَاتِهَمْ هَجَرُ(٢٣)

فقلب الفاعل فصار مفعولاً لأنّ (السوءات) هي التي تبلغ (هجر) فنصبها ورفع هجر.

تلك هي الأساسيات التي أشرت إليها في مطلع هذا المبحث؛فدراسة مثل هذه الكتب الأصيلة تتيح لطلابنا التواصل مع تراثهم القديم والتفقه فيه؛ لما في هذا التراث من الغنى والفائدة. "وكتاب الجمل يعدّ من الكتب المعّول عليها في دراسة النحوالعربي،حتى إنه الآن يدرس في الصف الأول في كلية الآداب في جامعة الموصل في العراق"(٢٤)

المبحث الثاني
المنظومات (ألفية ابن مالك):ـ

الشمول والاختصار صفتان قلما تجتمعان،لكنّ المنظومات قد استوعبتهما ووظفتهما في تعليم النحو؛ مما أحدث تغييراً في تعلم النحووطريقة اكتسابه. والمنظومات بسماتها الفريدة قد تُجدي نفعاً في فهم النحو؛ إذ يتشجع الناس في الإقبال عليها،وأنها تكون حاضرة في ذهن متعلميها؛ ذلك بصياغتها بأسلوب سهل ومحبب للنفوس. ومن خلال تجربتي المتواضعة لمست فوائد جمه وعِبر مهمة، فآثرت أن أجعلها إحدى الركائز التي تعين على اكتساب النحووولا سيما "ألفية ابن مالك"

وبعد أن طالعنا في المبحث الأول أثر دراسة المختصرات النحوية التي تركز على وضع الحد المختصر الشامل،الذي يحتوي على الفواعد، نطالع في هذا المبحث ما يثبت هذه القاعدة في الأذهان لتكون حاضرة في ذهن المتعلم.وأحسب أنّ هذه المنظومات من أهم عوامل اكتساب المعرفة وزيادتها وتحصيلها،بل هي من الدوافع التي تؤزّ طالب المعرفةإليها أزّاً؛

حباً وتشجيعاً على غيرها؛فالدافع أساس التعليم وبدونه لا يكون التعليم. فتظم المعرفة يسهل تحصيله.

وأدب اللغة العربية غزير بمادته الشعرية والنثرية التي تحفز المطّلع عليها على الدأب في طلب العلم وبذل الجهد والوقت دون ملل أوكلل، ومن عيون ما نقلته كتب العلم قول أبي هلال العسكري: "فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سموالقدر، ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تتحيفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنىً بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوان بغير أجر، وجنداً بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم فاطلبه في مظانه تأتيك المنافع عفواً، وتلق ما يعتمد منها صفواً، واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر به بعد وفاتك "(٢٥).

لقد أسهم أدب اللغة العربية في نظم المعرفة شعراً؛ حتى أصبح ذلك النظم واجب الحفظ لمن أراد بلوغ المنزلة في الفن المقصود الضلوع فيه، وبلوغ مراميه، وسبر غوره، ولججه.

فالحفظ والتعهد تمام الدُّرْكِ؛ لأن الإنسان موكَّلٌ به النسيان والغفلة، فلابد له إذا اجتبى صواب قولٍ أوفعلٍ، من أن يحفظه عليه ذهنه لأوان حاجته.

ومن أحسن ما يعين على حفظ أصول العلوم نظمها في أبيات أدبية يسهل حفظها ويأنس الطالب بترديدها؛ ولذلك قد عني العلماء بنظم أصول كثير من العلوم في منظومات شعرية بديعة، مثل الشاطبية في القراءات السبع المتواترة عن الأئمة القراء السبعة.

وفي ميدان النحووالصرف هناك منظومة ألفية ابن مالك للعلامة محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي.

وكذلك نظم الأجرومية في نفس الفن لشرف الدين يحيى العمريطي.

فكم سهلت هذه المنظومات على طلاب العلم حفظ قواعد النحووالصرف، وجعلت علمهم في صدورهم بما استحفظوا من هذه المنظومات العلمية التي حوتها اللغة العربية بأدبها الواسع الغزير.(٢٦) وأشهر هذه المنظومات ألفية ابن مالك.

التعريف بابن مالك وألفيته :ـ

"الألفية في النحو" للشيخ العلامة جمال الدين أبي عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك النحوي المتوفى سنة (٦٧٢ هـ اثنتين وسبعين وستمائة. وهي مقدمة مشهورة في ديار العرب، وجمع فيها مقاصد العربية وسماها "الخلاصة" في علمي النحووالتصريف، أخذها ابن مالك من الكافية الشافية، جعلها في أرجوزة لطيفة مع الإشارة إلى مذاهب العلماء وبيان ما يختاره من الآراء أحيانا، وقد كثر إقبال العلماء على هذا الكتاب من بين كتبه بنوع خاص؛حتى طويت مصنفات أئمة النحومن قبله، وإنما اشتهرت بالألفية، لأنها ألف بيت في الرجز أولها: قال محمد هوابن مالك... أحمد ربي الله خير مالك

وقد نشرها كثيرون وترجمها المستشرق "بنتو" إلى الفرنسية، وطبعت مع الأصل العربي في الأستانة سنة ١٨٨٧م، وقد شرحها الكثير من النحاة. أبرزوا معانيها وأظهروا محاسنها.(٢٧)وقد قامت شروح على شروحها وفتقوا نصوصها وأغنوها بالشواهد. فكانت كل الهموم منصبة على شرح نص الألفية ودورها العظيم في اكتساب النحولدى الطلاب والعلماء،لكن جانباً أغفله العلماء ولم يتحدثوا عنه كثيراً وهوالفنيات والتقنيات الموجودة في نص الألفية،والترابط الدقيق بين أجزائها، واختيار ألفاظها بدقة وعناية فائقتين.وأحسب أن ما نحتاجه حقا بجانب حفظهم لها،يجب أن ننبه طلابنا لدقائق الألفية؛حتى يرتفع حسهم اللغوي في التحليل،وقوة الملاحظة،ومعرفة أسرار التعبير عند ابن مالك.

وأكثر المصادر التي أفدت منها في إبراز قيم هذه الألفية وفوائدها شرح،ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، وكذلك شرح الغزّي الموسوم بـ"فتح الرب المالك بشرح ألفيةابن مالك"؛ وذلك لما فيه من تحليل دقيق لأسلوب ابن مالك،وفهم عميق لمعانيه؛ولعل السّر في ذلك يكمن في اقتدائه بإمامه ابن مالك.

وقد وقع اختياري وتركيزي على هذين الشرحين؛لأنهما من أقدم شروح الألفية،وأقلهما شهرة في المحافل العلمية، بيد أنّ لهما مَيزة علمية تفوق بعض شروح الألفية الكثيرة. فالغزّي سبر أغوار الأفكار عند ابن مالك، وأبرز دقاائق لم ينتبه لها كثيرون. وإذا ما وجّهنا طلابنا إلى مثل هذه الدقائق،تتكون ملكة الإبداع عندهم،كذلك نلفت انتباههم إلى كيفية انتقاء الألفاظ الجامعة للمعنى. إذن فالأهداف من تدريس الألفيةكثيرة؛ لأن مقاصد النحوبها محوية أي جلّ مهماته مجموعة فيها حيث قال في آخرها:

وَمَا بجمعه عُنيتُ قد كَمَل
نظماً عَلى جلّ المهمّات اشتَمَل

١- فهي تقرّب الأقصى بلفظ موجز، أي تقرّب المعنى البعيد للأفهام بمعنى مختصر وعبارة منقحة.
٢- تبسط الوعد بلفظ موجز،أي واعدة بحصول الفوائد ومنجزة بذلك الوعد؛وذلك باختيار ألفاظها بعناية فائقة.
٣- تتميز ببلاغةالإيجاز؛ فهويعرّف ويمثّل ويعطيك معنىً كاملاً ببعض الكلمات.
٤- تظهر براعة ابن مالك في الصياغة المحكمة، مع تسجيل الخلافات النحوية وترجيح رأي على آخر. بل نجده يذهب الى أبعد من ذلك ويراعي دلالة الألفاظ حتى في اختيار اسم الألفية - هوومن سبقه – إذ يميل العرب من قديم في عطاياهم ومنحهم وتعبيراتهم إلى لفظ الألف،وهوعدد دالّ على الكمال عند الأعراب(٢٨).فلعل ابن مالك استقرأ هذه الدلالة وجعلها وسماً واسماً لمنظومته. فكلّ شئ في الألفية يأسرني بدلالته بدءاً من اسمها وانتهاء بقضاياها وشواهدها ومذاهب العلماء فيها وترجيح ما يختاره من آراء.

دراسة بعض المباحث من الألفية لتحقيق ما أشرنا إليه من نقاط:

العناية الفائقة في اختيار الألفاظ:

فقد ابتدر ابن مالك ألفيته بباب:"الكلام وما يتألف منه".

وقد أشرنا إلى أنه كان يختار ألفاظه بعناية وذلك إذاقلنا لمَ اختار كلمة يتألف دون يتركّب؟!

"لأن التاليف كما قيل أخص،فإنه تركيب مع اعتبار الألفة في في أجزاء الكلام، ومعلوم أنّ الكلام متألف من الكلم،وهوالاسم، والفعل،والحرف "(٢٩).

تدبّر قوله:

كلامُنَا لفظٌ مفيدٌ كاستَقِمْ

لم لم يبدأ بتعريف الكلمة وهي سابقة في الوضع على الكلام؟!

لأنّ القصد: بيان ما يقع به التفاهم وهوالكلام،أي الكلام في اصطلاح طائفة النحاة.

وقوله:(استقم) تمثيل للكلام المفيد،،لأنّ فيه طلب الاستقامة من المخاطب، فهومركّب من فعل الأمر وفاعله المستتر،وموضع كاستقم حينئذ خبر مبتدأ محذوف وتقديره والكلام كقولك استقم.

أرأيت بلاغة الحذف وما فيه من فخامة تفقد مع التصريح بالمحذوف ؟! هذا وجه.

ويمكن أن نذهب مع طلابنا إلى وجه آخر وهوأن(استقم)تتميم لتعريف الكلام وهومبني على أنّ مفيد أريد، لأنه الأعم مما يجب السكوت عليه أولاً.وموضع كاستقم على هذا نعت لمصدر محذوف أي يفيد فائدة كفائدة استقم.(٣٠)

فالعبارة مُخْتَارة بعناية تُفيدك معها إمكانية تعدّد الوجوه الإعرابية.

تأمّل معي قول ابن مالك:(واسم وفعل ثم حرف الكلم)ف(الكلم)مبتدأ مؤخر و(اسم)وما عطف عليه خبر مقدم ولا يجوز العكس لما يلزم عليه من الإخبار عن النكرة بالمعرفة.

انظر إلى سرّ التقديم هنا،وما يترتب عليه،من تقديم اسم وفعل وحرف وتأخير الكلم، حيث لا يجوز الإخبار عن النكرة بالمعرفة.

وتقسيم الناظم الكَلِم إلى ما ذُكر، من تقسيم الكلّ إلى أجزائه، بخلاف من قسم الكلمة إلى ما ذكر، فإنه من تقسيم الكلي إلى جزيئاته.والفرق بين التقسيمين أنّ الأول لا يشترط فيه صدق المقسم على أقسامه بخلاف الثاني.

أما قوله:

وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلامٌ قَدْ يُؤَمْ(٣١)

أراد ابن مالك أنْ يشيرهنا إلى شئ قديكون مهملاً عند النحويين، وهوتسمية الشئ باسم بعضه وهوأنّ (الكلمة) قد يقصد بها لغة:معنى الكلام،وهومُجاز وإن كان مهملاً عند النحويين ومنه (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) التوبة:٤٠،أي لا إله ألا اللّه.

- وقد اعتُرض كلام الناظم بأنّ تعبيره "قد يؤم"يُشعر بأنّ إطلاق الكلمة على الكلام قليل مع أنّه كثير. وأُجيب بأنّه وإن كان كثيراً في نفسه إلا أنه قليل بالنسبة لإطلاق الكلمة على الاسم والفعل والحرف.فأيهما أكثر؟!

كيف يعرب طلابنا قوله:(وكلمة بها كلام قد يؤم):

(كلمة)مبتدأ،وإذا قلنا ما الذي سوغ الابتداء بها وهي نكرة؟!

ذهب الغزّي إلى أنّ (كلمة) مبتدأ وليست نكرة؛لأنه أريد لفظها لا معناها(٣٢) بينما ذهب محمد محي الدين إلى تقدير آخر سوّغ به الابتداء بالنكرة وهو:لفظ كلمة معنى الكلام قد يقصد بها(٣٣) فكلاهما ارتكز على على إرادة "لفظ "الكلمة. وأحسب أنّ كلام

الغزّي فيه بُعد أكبر،كأنما الكلمة عندما سبق ذكرها في صدر البيت صارت معرفة في عجزالبيت كالعهد الذهني، وإن كان هنالك مرتبط ب (أل):(كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ)المزمل:١٥/١٦، فأثرالمعنى الذهني أقوى من معنى(أل) أوقل هوالذي فسّر معنى(أل).فعندما اختار ابن مالك (كلمة)نكرة كأنما كان يريد منّا أن نناقشها مع طلابنا بهذا الفهم الواسع.

كذلك "كلام قد يؤم" إذا وقفنا عند إعراب (كلام)وهذه الكلمة نكرة لا يبدومسوغها،فجاء الغّزي بعلة مفيدة، وهو قوله: "وكلام مبتدأ ثان وهواسم جنس وأسماء الأجناس تقرّب نكرتها من معرفتها".(٣٤)

بينما جعلها محمد محي الدين بمسوغ الإضافة أي معنى الكلام قد يقصد بها،بمعنى أنّ لفظ الكلمة قد يطلق بها المعنى الذي يدل عليه لفظ الكلام (٣٥). وإن كنت أحسب أنّ علة الغزّي أيسر وأوجه.

يعرف ويمثل ليقرب المعنى:-

التمثيل هوأبرز ما يميز الألفية وبه تثبت القاعدة ويُحتج لها:

١- عرّف الكلام ومثل له:

كَلامُنَا لفظٌ مُفيدٌ كاسْتَقِمْ

٢- عرّف المبني قبل المعرب:وسنحاول أن نعلّل لذلك:

الاسْمُ منه مُعربٌ وَ مَبْنِي××لِشَبهٍ مِنَ الحُرُوفِ مُدْنِي

كالشَبَهِ الوَضْعِيّ في اسْمَي جِئْتَنَا
والمَعْنَوِيّ في مَتَى وَفي هُنَا
وَ كَنِيَابَةٍ عَنِ الفعْلِ بلا
تَأَثُّرٍ وَ كافْتِقارٍ أُصّلا(٣٦)

بعد قراءة أبيات الألفية يجب أن نقف مع طلابنا وقفة تأمل لنستنطق مكنونات ابن مالك في ألفيته.ما دلالة (منه)في البيت الأول؟!

أشعر قول (منه)بالإشارة إلى المذهب القائل: بإثبات واسطة بين المعرب والمبني وهوالأسماء قبل التركيب(٣٧).

وابن مالك قد تباينت طريقته فأحيانا يؤخر بعض الأشياء، وأحيانا يقدم أخرى،فإذا فتشت وجدت في ذلك عللاً لطيفة؛ وهذا يعلّم طلابنا التعليل والتحليل. ومثال ذلك:عند ذكره للمعرب والمبني من الأسماء،نجده قد قدّم المعرب في الذكر على المبني،لكن في التعريف والتمثيل قدّم المبني على المعرب،ولعل ذلك يرجع إلى أنّه لمّا كان الإعراب في الاسم أصلاً، لم يحتج الناظم لبيانه هنا بخلاف البناء فيه؛ فإنه على خلاف الأصل،فيحتاج للبيان(٣٨) فعجّل بذلك.

٣- عرّف الفعل المعتل ومثّل له:

وأيّ فِعْلٍ آخِرٌ مِنْهُ أَلِفْ
أَوْ وَاوٌ أَوْ يَاءٌ فَمُعْتَلاً عُرِفْ
فَالأَلِفَ انوِ فِيْهِ غَيْرَ الجَزْمِ
وَأَبْدِ نَصْبَ مَا كَيَدْعُوَيَرْمِي
والرَفْعَ فِيْهِمَا انْوِ وَاحْذِفْ جَازِمَا
ثَلاَثَهُنَّ تَقْضِ حُكْمَاً لازِمَا(٣٩)

٤- كما عرّف النكرة:

نَكِرَةٌ قَابِلُ أَلْ مُؤَثِّرَا
أَوْ وَاقِعٌ مَوْقِعَ مَا قَد ذُكِرا
وَغَيْرُهُ مَعْرِفَةٌ كَهُمْ وَذِي
وَهِنْدَ وَابْنِي وَالغُلاَمِ وَالَّذِي (٤٠)

ما أعجبني عند ابن مالك مواقع الابتداء بالنكرة،وقد سبقت في قوله:"كلمة بها كلام قد يؤم" وهذا يعكس اهتمامه بالإعراب فهوفرع المعنى. فكيف يعرب طلابنا (نكرة) ومابعدها؟!

فقوله(نكرة)مبتدأ وصحّ الابتداء بها؛ لأنها في موقع التقسيم للنكرة،أي قسم يقبل أل وقسم لا يقبلها،(وقابل أل) خبر،ويجوز أن يكون(قابل أل)مبتدأ ونكرة خبر مقدم.

(ومؤثرا) حال وقوله:"أوواقع"عطف على (قابل أل).

وموقع ظرف،لا يحسب جعله مصدراً؛لأنّ المعنى:أن تقع النكرة في محله،وليس المعنى أن تقع النكرة وقوعاً كوقوعه؛إذ لوكان كذلك لدخلته الألف واللام.(٤١)

أرأيت كيف أنّ ابن مالك يختار ألفاظه بعناية فائقة،والفيصل في كل هذا المعنى، وإذا قيل:لم استغنى الناظم بعدّ المعارف عن حدّها؟.

فالإجابة تجدها في شرحه لتسهيله حيث قال:"من تعرض لحدّها عجز عن الوصول إليه"(٤٢)

براعة ابن مالك في الصياغة المحكمة مع تسجيل الخلافات وترجيح أحدها:-

عندما بدأ في ذكر الأفعال قال:

سِوَاهُمَا الحَرْفُ كَهَلْ وَ فِي وَ لَمْ
فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَلِي لَمْ كَيَشَمْ(٤٣)

فابن مالك نجده كثيراً ما يبتدع ويبتكر ولا يتبع فقط.فلمَ بدأ بالفعل المضارع دون غيره؟! مع كون أصل الأفعال الماضي لبساطته؟!

لأنّ الفعل المضارع يشابه الاسم،وابن مالك عندما بدأ في تصنيف الكلم بدأ بالاسم (اسم وفعل ثم حرف الكلم) كذلك هنا عندما بدأ في تصنيف الأفعال بدأ بما يشبه الاسم. فراعى الرتبة في الذكر، بينما عدل عن هذا الترتيب عندما انتفت الضرورة(فعل أمر ومضي بنيا).

ويلي: من ولي الشئ إذا تبعه على أثره بلا فاصل،وعدل عن قول غيره،علامة المضارع كونه مبدوءاً بحرف من حروف (نأيت)لانتقاضها بنحو(تكلّم) و(أكرم) ،فإنهما ماضيان مع وجود الهمزة والتاء فيهما،وبقولهم(يرنأت الشيب) إذا خضّبته باليرناء وهوالحنّاء و(نرجست الدواء) إذا جعلت فيه نرجساً. فهويبتكر ابتكاراً يراعي فيه الدقة. وقد برع كذلك في صياغته حين قال:

.....×××وَأَعْرَبُوا مُضَارِعَاً إنْ عَرِيَا
مِنْ نُونِ تَوْكِيْدٍ مُبَاشِرٍ وَ مِنْ
نُونِ إِنَاثٍ كَيَرُعْنَ مَنْ فُتِنْ(٤٤)

فابن مالك يراعي في ألفاظه الجوانب اللغوية،فراعني الشئ:بمعنى أعجبني كما في المعاجم.وعلى هذا سقط الاعتراض على ابن مالك بأنه لوقال:(كيرقن) كان أولى، وهوبناءً على أنّ يرعن من الروع وهوالفزع.

وسكت عن بيان أنّ الإعراب في المضارع هوأصل كما قال الكوفيون،أوهوفرع عن الإعراب في الاسم كما قال البصريون؛لعدم الفائدة المترتبة على ذلك.وإعراب المضارع مشروط بتعريه،أي تجرده من نون توكيد مباشر،أي ملاصق له،ثقيلة كانت النون أوخفيفة نحو(لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ) يوسف:٣٢،وبتعريه أيضا من نون الإناث، فإن اتصلت به بُني كما مثله الناظم.ولما كانت نون الإناث لا تكون إلا مباشرة لم يقيدها(٤٥).أرأيت كيف أنّه خّص نون التوكيد بالمباشرة ولم يقيد نون النسوة بذلك،تلك براعة في الصياغة وانتقاء للتمثيل في الوقت نفسه.

وقد أورد في شرحه علة طريفة لبناء الفعل المضارع عند مباشرته لنون التوكيد واتصاله بنون النسوة حيث قال:(وإذا اتصل بالمضارع نون الإناث بني على السكون؛لأنه اتصل به ما لا يتصل هوولا نظيره بالأسماء فضعف شبهه بالاسم فرجع إلى أصله من البناء وحمل على نظيره من الماضي المسند إلى نون فبني على السكون فقالوا: هن يقمن،ويرعن،ونحوذلك فأسكنوا ما قبل النون في المضارع كما قالوا قمن ورعن بإسكان ما قبلها في الماضي)(٤٦). فالتعليل كذلك يثبّت القاعدة ويقرّب الفهم.

كثيراً ما يثقل النحاة كاهل النحوبالخلافات المذهبية التي لا طائل من ورائها،لكنّ ابن مالك في ألفيته كان له منهج مميز في التصريح عن بعض المذاهب؛إذا كان يرى أنّ فيها غنىً للغتنا العظيمة.ففي حديثه عن المضارع لم يناقش قضية إعراب الفعل المضارع أأصل هوأم فرع ؟؛لأننا نسلّم بإعرابه، ولكن إذا اقتضت المسألة اختلاف المذاهب الذي يؤدي إلى التوسع في الآراء وانديا الأفكار فينصّ على هذا في ألفيته ومنها قوله في الفاعل:

الفَاعِلُ الذي كَمَرْفُوْعَيْ أَتَى
زَيْدٌ مُنِيْرًا وَجْهُهُ نعْمَ الفَتَى(٤٧)

وَأَحْسَب أنّها براعة استهلال ودقّة تمثيل؛لصدق تعريف الفاعل على كلّ هذه المرفوعات،وأتى بالمثال الثالث تنبيها على أنّ العامل في الفاعل قد يكون جامداً وتعريضاً بمن جعل نعم حرفاً(٤٨).

ويتمثل ذكر الأوجه المختلفة في قوله:

وَجَرِّدِ الفِعْلَ إِذَا مَا أُسْنِدَ
لاِثْنَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَفَازَ الشُّهَدَا
وَقَدْ يُقَالُ سَعِدَا وَ سَعِدُوا
وَالفِعْلُ لِلظَّاهِرِ بَعْدُ مُسْنَدُ(٤٩)

حيث أشار ابن مالك إلى أنّ الفعل ومثله الوصف إذا أسند لفاعل ظاهر مثنى أوجمع جرد - في اللغة الفصحى- من علامة تثنية أوجمع كقوله:"فاز الشهدا" وأشار لمقابلة اللغة الفصحى بقوله:(قد يقال سعدا وسعدوا) أي قد تلحق الألف فعلاً مسنداً لمثنى أومسنداً لجمع مذكر سالم،أومسنداً لجمع مؤنث نحو: سعدا ابناك،وسعدوا بنوك،وسعدن بناتك. وفهمنا من قوله(والفعل للظاهر بعد مسند)أنّ الفاعل هوالاسم الظاهر،أما الحروف اللاحقة للأفعال المذكورة على هذه اللغة علامات للفاعل.وهذه اللغة ينسبها بعضهم لطيّئ،وبعضهم لأزد شنوءة،وبعضهم يسميها لغة (أكلوني البراغيث) ،وكان القياس أكلني البراغيث ولكن لما فعلت فعل العقلاء استعمل فيها الواوالتي هي ضمير جمع من يعقل. وقال ابن الشجري:"أكلها بمعنى الظلم والعدوان على تشبيه الأكل المعنوي بالحقيقي"(٥٠).

وكذلك عرضه للمذاهب المختلفة في المبتدأ مع التمثيل الدقيق تمثيلاً يصدق على التعريف حيث قال:

مُبْتَدَأٌ زَيْدٌ وَعَاذِرٌ خَبَرْ
إِنْ قُلْتَ زَيْدٌ عَاذِرٌ مَن اعْتَذَرْ

وَأَوَّلٌ مُبْتَدَأٌ والثّاني
فَاعِلٌ أَغْنَى فِي أَسَارٍ ذَانِ
وقِسْ وَكَاسْتُفْهَامِ النَّفْيُ وَ قَدْ
يَجُوزُ نَحْوَ فَائِزٌ أُولُوالرَّشَدْ(٥١)

هذه الأبيات إذا ما حلّلناها وجدنا فيها صدق الحدّ على ما مُثل به،وتَحمل المذاهب المختلفة،ونلمح موافقة الناظم وترجيحه لرأي على آخر في أدب جمّ يلفّه خلق العلماء.كما تشير الأبيات إلى أصول النّحووهوالقياس،ولعل هذه الأبيات تعدّ أنموذجاً يحتوي على جلّ المهمّات النّحوية التي أشار لها ابن مالك بقوله:"مقاصد النّحوبها محويّة". فحريّ بطلابنا أن يتفهموا ما قصده ابن مالك حيث بيّنت الأبيات أنّ المبتدأ،إمّا ذوخبر ك (زيد) من قولك"زيد عاذر" وإمّا وصف مسند إلى الفاعل أونائبه ك(سارٍ) و(مكرم) من قولك"أسار هذان" و"ما مكرم العمّران" فهذا الضرب استغنى بمرفوعه عن الخبر؛ لشدة شبهه بالفعل ولذلك لا يحسن استعماله ولا يطّرد في الكلام حتى يعتمد على ما يقرّبه من الفعل وهوالاستفهام أوالنفي كما في قوله:

أَقَاطِنٌ قَوْمَ سَلْمَى أَمْ نَوَوا ظَعْنَا
إِنْ ظَعَنُوا فَعَجِيْبٌ عَيْش مَنْ قَطَنا(٥٢)

أماإذا لم يعتمد على الاستفهام أوالنفي كان الابتداء قبيحاً،وهوجائز على قبحه ومنه قول الشاعر:

خَبِيْرٌ بَنُو لهب فَلَا تَكُ مُلْقِياً
مَقَالَةُ لهْبِيّ إِذَا الطَّيْرُ مَرَّت(٥٣)

فهذا مثل قوله: (فَائِزٌ أُولُوالرّشد). وقال ابن مالك:

وَرَفَعُوا مُبْتَدَأً بِالابْتَدَا
كَذَاكَ رَفْعُ خَبَرٍ بِالْمُبْتَدَا(٥٤)

هذا البيت يعكس ترجيح ابن مالك رأيا على آخر،وواضح أنّ الناظم تبع البصريين في هذا؛ لأنّه لا خلاف بينهم أنّ المبتدأ مرفوع بالابتداء،وأما الخبر فالصحيح أنّه مرفوع بالمبتدأ.قال سيبويه:"فأما الذي يبنى عليه شئ هوفإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هويالابتداء وذلك قولك (عبد الله منطلق)"(٥٥). وقيل" رافع الجزأين هوالابتداء لأنّه اقتضاهما فعمل فيهما،وهوضعيف؛ لأن أقوى العوامل وهوالفعل لا يعمل رفعين بدون اتباع، فما ليس أقوى أولى ألا يعمل ذلك "(٥٦)

أرأيت كيف أنّ ابن مالك رجّح رأي البصريين وعلى الشّرّاح أن يفتّشوا عن تلك العلل الكامنة في اختيارات ابن مالك،وهذا ما ينبغي أن ندّرب عليه طلابنا.

وأخيراً أقول لطلابنا هنالك مواضع لا يمكن أن تثبت قاعدتها ويحلوفهمها إلا بالألفية وهي كثيرة.(٥٧)

المبحث الثالث
الشواهد الشعرية (شواهد الشواعر)

الشاهد النحوي هوعصب القضايا النحوية، إذ به يُقام الدليل وتقوى الحجّة، وتتّضح القاعدة وتُبيّن وتُوثّق، وبه تصل إلى المفهوم النحوي السليم"فالنحوعلم قياسي ومسبار لأكثر العلوم ولا يُقبل إلا ببراهين وحجج"(٥٨)، وقد استأثر الشعر باهتمام النحاة واللغويين لأسباب معروفة على الرّغم من أنّهم لم يحاولوا الفصل بين الشّعر والنثر في تقعيدهم للقواعد(٥٩).

وقد خصصت شعر الشواعر لأبيّن أنّ شعرهن قد تميز بذات القوة والجمال والإيقاع وقوة الألفاظ التي تميّز بها شعر الشُّعراء.حيث انتقيت منهن جَنُوب الهُذليّة في (البائية) والخِرِنق بنت هَفّان في (الرائية)ومَيْسُون بنت بَحْدل في (الفائية).

كثيرًا ما فتنت بجمال وروعة الألفاظ، وقوّة العبارات،عندما كنت أستقرأ الشواهد مع طالباتي، فحاولت أنْ أتتبع القصائد التي وردت فيها هذه الشواهد، فطرحت سؤالا:هل الجمال والقوة والروعة التي تكتنف الشاهد ؟هل هذاسِمْتُ القصيدة كاملة؟أم أنّ الشاعر أفرغ موهبته وإبداعه في بعض الأبيات،مما حدا بها لأنّ تكون شواهد تتناقلها ألسنة الناس وتسوقها حجّة يُتَمَثّل بها. وهل هذه القوة والجزالة في الألفاظ تتميز بها قصائد الشعراء؟ أم أنّ الشواعر لهن ذات السمات؟ فعكفنا على إبراز أوجه الجمال في قصائد الشواعر، لاسيما أن كثيراً من الدراسات تتناول الشعراء وتتجاهل أوتتناسى جانب الشواعر اللائي لا ينقصن قدراً عن الشعراء.فينبغي أن ننبه طلابنا لإبراز إبداعهن وإرثهن العظيم الذي يعكس الموهبة والتميز والقوة."وقد بلغت الأعرابيات في قوة البيان وبلاغة القول مبلغ الرجال.وكانت الشاعرات تجيد القريض كالشعراء وربما سبقت شاعرة كثيراً من الفحول(٦٠).

من المعروف أنّ "النصوص" هي المادة الأساسية التي تتشكل منها دراسة اللغة في مستوياتها المختلفة أصواتاً وبنية ونحواً، واليوم بعد أن جفونا هذه النصوص أصابنا ما أصابنا من جدب القريحة. فلا بدّ إذن من العودة إلى تلك النصوص؛حتى تثمر قرائحنا وتجود بأطيب ثمار علمية. وطلابنا في أمس الحاجة إلى حفظ

هده النصوص حتى تتكون لديهم الملكة فيحاكون النصوص الفصيحة أوينسجوا على منوالها، ويستشهدوا بها ليرتقي كلامهم سلم الفصاحة،بدلاً عن الأمثلة البسيطة التي بات ينشدها طلابنا بعد أن جرفهم دعاة التيسير؛فجافت عقولهم الكلام البليغ الراقي نصاً ومعنى.

نماذج من قصائد الشواعر:-

سأعرض نصاً واحداً لكل شاعرة منهن أتناوله بقليل من الدرس والتحليل بعد ذكر نبذة قصيرة عن تلك الشاعرة وكان ترتيبي للشاعرات ترتيباً هجائياً.

أولاً: جنوب الهذلية: وهي جنوب بنت العجلان بن عامر بن برد بن منية الكاهلية،وهي أخت عمروذا الكلب. لها شعر ترثي فيه عمروورد في ديوان الهذليين كانت شاعرة فصيحة لبيبة بليغة المعاني، ذات ألفاظ رائقة،ومعانٍ فائقة،لها في أخيها مراث قالتها لما قتله بنوكاهل منها مارواه الجوهري فقالت من البسيط:

كُلُّ امرىءٍ بطوال العَيش مَكذوبُ
وَكُلُّ مَن غالَبَ الأَيّامَ مَغلوبُ
بَينَا الفَتى ناعمٌ راضٍ بعيشَته
سيقَ لَهُ من دَواهي الدَهر شُؤبوبُ
أَبلِغ بَني كاهِلٍ عَنّي مُغَلغَلَةً
وَالقَومُ من دونهم سَعياً وَمَركوبُ
أَبلِغ هُذَيلاً وَأَبلِغ من يَبَلِّغُها
عَنّي رَسولاً وَبَعضُ القَولِ تَكذيبُ
بِأَنَّ ذا الكَلبَ عَمراً خَيرُهُم نَسَباً
بِبَطنِ شَريانَ يَعوي عِندَهُ الذيبُ
الطاعِنُ الطَعنَةَ النَجلاءَ يَتبَعُها
مُثعَنجِرٌ من دماء الجَوفِ أُثعوبُ
والتارك القرنَ مصفراً أنامله
كأنّه من رجيع الجوف مخضوب
تَمشي النُسورُ إِلَيهِ وَهيَ لاهِيَةٌ
مَشيَ العَذارى عَلَيهِنَّ الجَلابيبُ
المُخرِجُ الكاعِبَ الحَسناءَ مُذعِنَةً
في السَبيِ يَنفَحُ من أَردانِها الطيبُ
فَلَم يَرَوا مثلَ عَمروما خَطَت قَدَمٌ
وَلَن يَرَوا مِثلَهُ ما حَنَّتِ النيَبُ(٦١)

الشاهد المشهور في هذه القصيدة هوفي قولها:" بِأَنّ ذاَ الكَلبِ عَمراً خَيرُهُم نَسَباً " حيث تعرض العلماء للحديث عن الشاهد في معرض الحديث عن العَلم. وأروع من عرض هذا الموضوع المرادي حيث قال:"العلم على ثلاثة أقسام اسم وكنية ولقب؛لأنه إن صدر بأب أوأم فهوكنية كأبي بكر وأم كلثوم.فإن أشعر برفعة المسمى أوضعته فهولقب، كالصدّيق والفاروق في الأول ،وكبطة وأنف الناقة في الثاني وإن لم يكن كذلك فهواسم كزيد وعمروقول ابن مالك "وأخرن ذا إن سواه صحبا وإذا اجتمع مع اللقب غيره أخر اللقب وقدم الاسم أوالكنية مثل:أبوبكر الصديق وعمر الفاروق"(٦٢) ما العلة في تقديم الاسم وتأخير اللقب ؟

لأنّ اللقب في الغالب منقول من اسم غير الإنسان كبطة، فلوقدم لتوهم السامع أنّ المراد،مسماه الأصلي،وذلك مأمون بتأخيره،وندر تقدم اللقب على الاسم في الشعر كقول الشاعر:

بأنّ ذَا الكَلبَ عمراً خَيرُهُمْ نَسَبَاً
بِبَطْنِ شرْيَانَ يَعْوِي حَوْلَه الذّيبُ

وبعد الاطلاع على هذه القصيدة الرائعة فكل بيت فيها يصلح لأنْ يكون شاهداً يخدم قضية نحوية أوصرفية أوبلاغية،بل تصلح القصيدة لإعمال اسم الفاعل: (الطاعن) ،و (التارك) ،و (المُخْرِج) وغيرها من الموضوعات..

ثانيا : الخرنق بنت هفان

هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة البكرية العدنانية، من الشاعرات الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت الشاعر طرفة بن العبد لأمه،وتزوجها بشر بن عمروبن مرثد من بني أسد، وقتله قوم يوم قلاب، فجاء أكثر شعرها في رثائه ورثاء أخيها طرفة، توفيت حوالي (٥٧٤)م، وقالت ترثي قومها الذين قتلوا يوم قلاب من الكامل.:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الذيْنَ هُمُ
سَمَ العُدَاة وَآفَةُ الجُزْرِ
النَازِلُوْنَ بِكُلّ مُعْتَرَك
وَالطّيّبُونَ مَعَاقِدِ الأُزْرِ
الضّارِبُونَ بِحَوْمَةٍ نَزَلَتْ
وَالطّاعِنُونَ وَخَيْلُهُم تَجْرِي
إِنْ يَشْرَبُوا يَهَبُوا وَإِنْ يَذَرُوا
يَتَوَاعَظُوا عَنْ مَنْطِقِ الهُجْرِ
الخَالِطُوْنَ لُجَيْنَهُم بِنُضَارِهِمْ
وَذَوِي الغِنَى مِنْهُم بِذِي الفَقْرِ
لاقَوْا غَدَاةَ قُلاَبَ حَتْفَهُمُ
سَوْقَ العَتِيْرِ يُسَاقُ لِلْعِتْرِ
هَذا ثَنَائِي مَا بَقِيْتُ لَهُم
وَإِذَا هَلَكْتُ وَجَنّنِي قَبْرِي(٦٣)

والشاهد المشهور في هذه القصيدة في مطلعها، ف(قومي) فاعل(يَبْعَدَنْ)بفتح الياء والعين، وهودعاء خرج مخرج النهي أي لا يهلكن. وهي من بَعِد الرجل يَبْعَد بُعْداً كفَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحاً إذا هلك وفي التنزيل (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) هود:٩٥.

فإن قيل كيف دعت لقومها بأن لا يهلكوا وهم قد هلكوا؟ أجيب بأنّ العرب قد جرت على عادتها في استعمال هذه اللفظة في الدعاء. ولهم في ذلك غرضان.

أحدهما: أنهم يريدون بذلك

استعظام موت الرجل الجليل وكأنهم لا يصدقون بموته.

والثاني: أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يذهب؛ لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته.

والمعنى:لا يهلكن قومي الذين هم سم على أعدائهم وآفة لإبلهم لأنهم ينحرونها لأضيافهم.

وهنالك شاهد آخر في البيت الثاني (النازلون بكل معترك) وقد أورد البيت البغدادي برواية أخرى وهي:

النازلين بكل معترك

والطيبون معاقد الأزر

على أنّه يجوز قطع نعت المعرفة بالواوكما يجوز قطع نعت النكرة بها.

فقولها والطيبون: نعت مقطوع بالواو من (قومي) للمدح والتعظيم بجعله خبر مبتدأ محذوف أي:هم الطيبون.

وإنما حكم بالقطع مع أنّه مرفوع كالمنعوت وهو (قومي) لقطع النازلين قبله،بجعله منصوباً بفعل محذوف تقديره أعني أوأمدح ونحوهما. والعرب إذا رجعت عن شئ لم تعد إليه. وقال ابن السكيت في أبيات المعاني قال الأعرابي: "النازلين تابع لقومي على المعنى لأن معناه النصب. كأنه قال:لا يبعد الله قومي." (٦٤)

قال سيبويه في باب ما ينتصب على التعظيم والمدح:"إن شئت جعلته صفة فجرى على الأول، وإن شئت قطعته فابتدأته. وزعم يونس أن من العرب من يقول:(النازلون بكل معترك...والطيبين) "(٦٥).

وقولها: سم العداة: السم المعروف وسينه مثلثة والعداة:الأعداء جمع عادٍ كقضاة جمع قاضٍ.وحكى أبوزيد:"اشمت الله عاديك أي عدوك "ولا يكون العداة جمع عدولأنّ عدوفعول وفعول لا يجمع على فعلة إنما يجمع عليه فاعل..

الآفة:العلة والجزر بضم فسكون جمع جَزُوْر والأصل بضمتين كرسول ورسل وسكن للتخفيف والجزور: هي الناقة التي تنحر.

فإن كانت من الغنم فهي جَزَرَة بفتحتين. وصفتهم أولاً بالشجاعة والنجدة وأنهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم.

والنزول في الحرب على ضربين:أحدهما في أول الحرب،وهوأن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم، والثاني:في آخرها أن ينزلوا عن خيلهم ويقاتلوا على أقدامهم إذا كان القتال في موضع وعر لا مجال فيه للخيل(٦٦).

فالقصيدة كسابقتها كل بيت فيها يصلح لأن يكون شاهداً. زد على ذلك الشواهدالبلاغيةوالنقدية في قوله (الطيبون معاقد الأزر) وقولها:(الخالطون لجينهم بنضارهم... وذوي الغنى منهم بذي الفقر). فأنت ترى المعاني اللغوية بجانب القضايا النحويةوالبلاغية والنقدية. انظر كيف كثّر أغنياءهم وقلل فقراءهم.هكذا ينبغي أن نتدارس مع طلابنا النصوص.

ثالثا: ميسون بنت بحدل

وهي ميسون بنت بحدل بن أنيف من بني حارثة بن جناب الكلبي أم يزيد بن معاوية،،وكانت بدوية ثقلت عليها الغربة عن قومها لما تزوجت بمعاوية في الشام، فسمعها تقول هذه الأبيات فطلقها وأعادها إلى أهلها، وكانت حاملا بيزيد،في رواي،،أوأخذته معها رضيعا فنشأ في البادية فصيحا (٦٧).

ونقل البغدادي:" أن معاوية لما طلقها قال لها:كنت فبنت،فأجابته:ما سررنا إذ كن ولا أسفنا إذ بنا " فقالت من الوافر:

لَبَيْتٌ تخفقُ الأَرْوَاحُ فيه
أحبُّ إليَّ مِنْ قَصْرٍ مُنيف
وَأَصْوَاتُ الرّياح بِكُلّ فَجٍّ
أَحبُّ إليّ مِنْ نَقْر الدُّفوف
وَكَلْبٌ يَنْبَح الطُرَّاقُ عنّي
أحبُّ إليَّ مِنْ قِطٍّ أَلُوف
ولُبْسُ عباءةٍ وَتَقَرُّ عَيْني
أحبُّ إليَّ من لبْس الشُّفوف
وخَرْقٍ من بَني عَمّي نَحيف
أَحَبُّ إليَّ مِنْ علْج عليف
خَشونَةُ عيشَتي في البَدْوأَشْهَى
إلَى نَفْسي منَ العيش الظَّريف
فَمَا أَبْغي سوَى وَطَني بَديْلاً
فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شَرِيْف(٦٨)

اتّخذ الحريري من مطلع هذه القصيدةشاهداً أوضح فيه خطأ شائعاً وهوجمع ريح على رياح.والصواب أن يقال:أرواح "ويقولون هبت الأرياح مقايسةعلى قولهم رياح،وهوخطأ بيّن ووهم مستهجن والصواب أن يقال:هبت الأرواح قال ذي الرمة:

إذَا هَبّتِ الأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ
به أَهْلُ مَيّ هَاجَ قَلْبِي هَبُوْبُهَا
هَوَىً كلّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيْبُهَا
هَوَى كلّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيْبُهَا

والعلة في ذلك أن أصل ريح:روح،لاشتقاقها من الروح،وإنما أبدلت الواوياءً قي ريح للكسرة التي قبلها فإذا جمعت على أرواح فقد سكن ما قبل الواو، وزالت العلة التي توجب قلبها ياءً؛فلهذا وجب أن تعاد إلى أصلها كما أعيدت

لهذا السبب في التصغير فقيل:رُوَيحة". ومما يعضض أن جمع ريح على أرواح ما روي أن ميسون بنت بحدل لما اتصلت بمعاوية ونقلها من البدوإلى الشام وكانت تكثر الحنين إلى أناسها والتذكر لمسقط رأسها،فاستمع إليها وهي تنشد:

لبَيْتٌ تخفقُ الأرواحُ فيه

أحبُّ إليَّ من قصر مُنيف

ومما يُحمد للحريري أنه أبرز جانباً لم يكن مشهوراً وهوجمع ريح على أرواح،لكنني أعجب له كيف إدعى أنّ جمعهاعلى رياح خطأ شائع،وقد وردت في القرآن الكريم في عشرة مواضع منها:(وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) البقرة: ١٦٤.

وكذلك جاء قولها:(ولبس عباءة وتقر عيني) شاهداً على نصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعد الواو(٦٩).

كما كان شاهداً من شواهد سيبويه برواية(للبس عباءة وتقر عيني)حيث قال:"ولما لم يستقم أن تحمل وتقرّ وهوفعل على لبس وهواسم لما ضممته إلى الاسم وجعلت أحب لهما ولم ترد قطعه،لم يكن بد من إضمار أن)وعليه فقد جاء الفعل تقر منصوبا بأن مضمرة بعد الواو،وأن تقر في تأويل مصدر معطوف على مصدر وهولبس(٧٠).

أرأيت كيف أنّ شواهد الشواعر تنعم بالقوة والرصانة كما شواهد الشعراء، وليس لي أن أقول إلا كما قال بن أبي داؤود:"ليس أحد من العرب إلا وهويقدر على قول الشعر،طبعٌ رُكّب فيهم ، قلّ قوله أوكثر، فإن صدق هذا على رجالهم صدق على نسائهم إذ الطبع واحد واللغة متفقة،والغريزة لا تختلف،وإنما يتفاوت الجنسان في فنون القول لا في القول نفسه،ثم في براعة الصناعة من جهة قوة الشعر وسبكه ورصفه والتئامه، ومن ناحية المعنى وصحته والإبداع فيه".(٧١)

تلك هي النصوص التي تتيح المعرفة وتُكسب طلابَنا غِنًى معرفياً لا يفقرون بعده أبداً

الخاتمة :ـ

تناولت صفحات البحث ثلاث أساسيات، تحسب أنها تُسهم إلى حدّ كبير في اكتساب المعرفة وتعلّم النّحولدى المختصين وهي:

معرفة الحدّ الشامل للموضوعات،ثم تثبيت القاعدة في ذهن الدّارس بنظم يسهل حفظه وتناوله،ثم إغناء الملكة بالمحفوظ الجيد من النصوص؛لتتكون عندهم ملكة تحاكي النصوص الفصيحة،وتنسج على منوالها؛لأنّ المحفوظ الجيد ينتج ملكة سليمة قوية فصيحة..حيث تمّ عرض وتحليل بعض النماذج التي تشير إلى ركائز هذا البحث، وخرجت الدراسة ببعض النتائج والتوصيات.نُجملها في الآتي:-

أولاً: النتائج

× إنّ التخطيط اللغوي السليم،والتشجيع على كسب المعرفة،يحفزان طلابنا على فهم لغتنا والتمكّن من دقائقها وأسرارها وإبداعاتها.

× اختيار الكتب بعناية؛يكون ذا نفع للمختص، ومخرجاته جيدة؛ سيكسبهم العلم؛الذي يؤهلهم لإنتاج المعرف،فدراسة الكتب الأصيلة ككتاب الجمل،تتيح لطلابنا التواصل مع تراثهم القديم والتفقه فيه؛لما في هذا التراث من الغنى والفائدة.

× نظم المعرفة وتسهيلها يجدي نفعاً كبيراً في اكتسابها؛لما في النظم من الروعة والاختصار والشمول، وحضوره في الذهن واستحضاره عند الحاجة.

× هنالك نقاط مشتركة بين الزجاجي وابن مالك،فالمنهج التعليمي عند كليهما كان واضحاً،فاشتركا في منهج التعريف والتمثيل لتقريب المعنى،والعبارة المنتقاة.

ثانياً: التوصيات:

× أوصي بالاهتمام البالغ بدراسة النصوص مع كلّ فرعٍ من فروع اللّغة لتتكون الملكة.

× أوصي بدراسة تقنيات الألفية وفنيّاتها،والتعمّق في أسلوب ابن مالك؛لبراعته ودقّته.

× أوصي بمزيد من الدراسات والتحليل لشرحي ابن الناظم والغزّي؛ لأنهما يحتويان على درر مصونة ولآلئ مكنونة لطلابنا؛تعينهم على الفهم والمعرفة.

الهوامش:-

١/تاريخ ابن خلدون،عبدالرحمن بن محمد بن خلدون،المحقق خليل شحادة،٧٧١،دار الفكر، بيروت،ط:٢، ١٤٠٨هـ.

٢/الحيوان،لأبي عثمان عمروبن الجاحظ،تحقيق عبد السلام هارون، ٩١/١،مكتبة مصطفى البابي وأولاده،مصر،ط:١٣٦٢، ١هـ،١٩٤٣م.

٣/ طبقات النحويين واللغويين،للزبيدي،١١٩،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،للسيوطي،٧٧/٢.

٤/ الزجاجي حياته وآثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه الإيضاح،مازن المبارك،٣٣،دار الفكر دمشق،ط:١٩٨٤، ٢م.

٥/مقدمة وشي الحلل للفهري،نقلا عن الزجاجي حياته آثاره،٢٣.

٦/إصلاح الخلل الواقع في الجمل،عبدالله بن السيد البطليوسي،تحقيق وتعليق عبدالله النشرتي،٢،دارالمريخ،الرياض،ط:١٣٩٩، ١هـ،١٩٧٦م.

٧/دراسات في علم اللغة،الدكتور كمال بشر،٣٢/٢،دار المعارف،مصر،ط:٢، ١٩٧١م.

٨/الجمل في النحو،صنفه أبوالقاسم عبدالرحمن الزجاجي،حققه وقدم له علي توفيق الحمد،١٧،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط:٢، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م

٩/البسيط في شرح جمل الزجاجي،لابن أبي الربيع،تحقيقوج ودراسةعياد بن عيد الثبيتي،١٦٠/١،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط:١، ١٩٨٦م.

١٠/انظر المرجع السابق،١٦١/١

١١/الإيضاح،لأبي علي الفارسي،٢٦١/١.

١٢/البسيط في شرح جمل الزجاجي ١٦٥/١.

١٣/الجمل،١٢.

١٤/الأسود الحالك:الموت،بجلي:يكفيني،ويروى:(ألاإنني أشربت أسودحالكاً) وهومن الطويل،ينظر خزانة الأدب ولب لباب العرب،للبغدادي،تحقيق عبدالسلام هارون،٣٨/١،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط:١ ١٩٨٣م.وديوان طرفةبن العبد،حققه فوزي عطوي،١٠٦،دار مصعب،بيروت،(د.ط)،١٩٨٠م.

١٥/حاشية الصبان،على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك،ومعه شرح شواهد العيني،٢٧٤/١،دار إحياء الكتب العربية.

١٦/الجمل،١٥.

١٧/المرجع السابق،٩٩.

١٨/همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية،للسيوطي،١٣٩/٢،دار المعرفة،بيروت،لبنان،(د.ط) (د.ت)،والجمل/١٣.

١٩/الجمل،١٨،همع الهوامع ١٣٩/٢.

٢٠/الجمل،١٤٧.

٢١/المرجع السابق،٢٣٣.

٢٢/المرجع السابق،٢٠٣.

٢٣/هداجون:من الهدج وهومشي فيه ضعف.هجر:موضع في البحرين.نجران:موضع باليمن،السوءات:الفواحش والقبائح،البيت من شواهد الجمل،٢٠٣،والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،لأبي الفتح ابن جني،تحقيق علي النجدي وآخرين،١١٨/٢،دار المعارف القاهرة.وديوان الأخطل،شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر،١٠٩،دار الكتب العلمية،بيروت،ط:١، ١٩٨٦م،البيت من البسيط.

٢٤/شرح جمل الزجاجي،لابن هشام الأنصاري،دراسة وتحقيق علي محسن عيسى مال الله،٥٢،عالم الكتب،بيروت،ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٥/الصناعتين،أبوهلال العسكري،تحقيق علي محمد علي البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم،٤٢،المكتبة العصرية،بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٦/الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية،خالد حامد الحازمي،٤٨٤/١،الناشر الجامعة الإسلامية،بالمدينة المنورة،العدد١٢١،السنة٣٥، ١٤٢٤هـ. والأدب الصغير والأدب الكبير،لابن المقفع،٦٣.

٢٧/توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،أبومحمد بدر الدين المرادي،شرح وتحقيق عبدالرحمن علي سليمان،٤٨/١،دار الفكر العربي،ط:١، ١٤٢٨هـ،٢٠٠٨م.

٢٨/المرجع السابق والصفحة.

٢٩/فتح الرّبّ المالك بشرح ألفية ابن مالك،لمحمد بن قاسم الغزّي،دراسة وتحقيق محمد مبروك الختروشي،٤٧،منشورات كلية الدّعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي،الجماهيرية العظمى،طرابلس،ط:١، ١٩٩١م.

٣٠/المرجع السابق،٤٨.

٣١/ألفية ابن مالك في النحووالصرف،لأبي عبدالله محمد بن مالك،١١،دار السلام،مصر،ط:٣، ١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م.

٣٢/فتح الرّبّ المالك:٥٢.

٣٣/شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،بهاء الدين ابن عقيل،ومعه كتاب منحة الجليل،بتحقيق ابن عقيل،تأليف محمد محي الدين،١٩/١ (الهامش)

٣٤/فتح الرّبّ المالك،٥٢

٣٥/شرح ابن عقيل ١٩/١.

٣٦/ألفية ابن مالك،١٣.

٣٧/شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للبغدادي،المؤلف محمد بن حسن الرضي الإستراباذي، ٢٢١/٢،حققها محمد نور الحسن وآخرون،دار الكتب العلمية،بيروت،١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، وانظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك،علي بن محمد الأشموني، ٤٤/١،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط/١٤١٩،١هـ،١٩٩٨م.

٣٨/فتح الرّبّ المالك،٦٥.

٣٩/ألفية ابن مالك،١٦.

٤٠/المرجع السابق،٢٠.

٤١/فتح الرّب"المالك،١٠٧.

٤٢/شرح التسهيل،لابن مالك،تحقيق الدكتور عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي مختون،١٢٥/١،هجر للطباعة والنشر،ط:١، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

٤٣/ألفية أبن مالك،١٢.

٤٤/المرجع السابق،١٤.

٤٥/فتح الرّب"المالك،٧١.

٤٦/شرح ألفية ابن مالك،لابن الناظم،أبي عبدالله بدر الدين محمد ابن مالك،١٢،داراحياء التراث العربي،بيروت،ط:١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤٧/ألفية ابن مالك،٥٧.

٤٨/فتح الرّبّ المالك،٣١٦.

٤٩/ألفية ابن مالك،٥٨.

٥٠أمالي ابن الشجري،ضياء الدين أبوالسعادات ابن الشجري،المحقق محمود محمد الطناحي،٢٠٣/١،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط:١، ١٤١٣هـ،١٩٩١م.

٥١/ألفية ابن مالك،٣٣.

٥٢/شرح ابن الناظم،٤٣.وشرح المكودي على الألفية،أبوزيد عبدالرحمن بن علي المكودي،٤٦/١،المكتبة العصرية،بيروت، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٥م، (د.ت) وشرح التسهيل،٢٦٩/١.

٥٣/شرح ابن الناظم،٤٣،وشرح التسهيل٢٧٣/١،والمقاصد النحوية في شرح الألفية"شرح الشواهد الكبرى"،بدر الدين محمود العيني،تحقيق علي محمد فاخر،وأحمد محمد السوداني،وعبدالعزيز محمد فاخر،٤٨٧/١،دار السلام،القاهرة،ط/١، ١٤٢١هـ،٢٠١٠م.

٥٤/ألفية ابن مالك،٣٤.

٥٥/الكتاب،عمروبن عثمان بن قنبر سيبويه،تحقيق عبد السلام هارون، ١٢٧/٢،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط:٣، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.

٥٦/شرح ابن الناظم،٤٤.

٥٧/انظرالألفية:مواضع تقديم الخبر وجوباً،٣٧،مواضع حذف الخبر وجوباً،٣٨،الاستثناء وأنواعه وإعرابه،٧٧،الإضافة وأنواعها،٩١،(أن)التي

تنصب الفعل المضارع،والفرق بينها وبين(أن)المخففة من الثقيلة،١٥٣.

٥٨/الإيضاح في علل النحو،لأبي القاسم الزجاجي،تحقيق مازن المبارك،٤١،دار النفائس،بيروت.(د.ط) (د.ت)

٥٩/من أسرار اللغة،إبراهيم أنيس،٣٢٥.

٦٠/النّحوالوافي،عباس حسن، ٨١/٢،دار المعارف،مصر،ط:٥،(د.ت).

٦١/ الدرالمنثور في طبقات ربات الخدور،زينب بنت علي بن حسين بن عبدالله فوازالعاملي،١٣١،المطبعة الكبرى الأميرية،مصر،ط:١/١٣١٢هـ

٦٢/توضيح المقاصد والمسالك:٣٩١/١.

٦٣/شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام،جمعه ورتبه ووقف على طبعه بشير يموت، ٨٠،المكتبة الأهلية بيروت،ط:١/١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.

٦٤/خزانة الأدب،للبغدادي،٤٢/٥.انظر المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية،أبواسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي،تحقيق،محمد إبراهيم البنا،عبد الحميد قطامش،٦٧٠/٤،معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ومكة المكرمة،ط:١٤٢٨،١هـ، ٢٠٠٧م،

٦٥/الكتاب،٦٥/٢.

٦٦/.خزانة الأدب،٤٩/٥.

٦٧/الأعلام،خيرالدين بن محمود بن محمد الزركلي،٣٣٩/٧،دار العلم للملايين،ط:١٥، ٢٠٠٢م.

٦٨/خزانة الأدب،للبغدادي،٥٩٣/٣.

٦٩/درةالغواص في أوهام الخواص،القاسم بن علي أبومحمدالحريري،تحقيق عرفات مطرجي،٤٩، مؤسسةالكتب الثقافية،بيروت،ط:١، ١٤١٨هـ.

حماسة الخالديين"الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين "،الخالديان أبوبكر محمد بن هاشم الخالدي،وأبوعثمان سعيد بن هاشم الخالدي،المحقق محمد علي دقة،٨٢،وزارة الثقافة،الجمهورية العربية السورية،١٩٩٥م(د.ط).

٧٠/الكتاب:٤٥/٣.

٧١/تاريخ آداب العرب،مصطفى صادق الرافعي،٤٣/٣،دار الكتاب العربي(د.ط)،(د.ت).